الإجازة فعند ذلك الخاطر طلب مني هو الإجازة، فكان ذلك من المكاشفة، فأجزت له، وأجاز لي، وكان سِنُّه إذ ذاك فوق خمسين سنة، وعمري دون الثلاثين. ثم ما زال يتردد إليّ. وفي بعض المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل، وأكثرت الاعتراض على مسائل من فقه الحنفية، وأوردت الدليل. وما زال يتطلب المحامل لما تقوله الحنفية، فلما خلوت به قلت له: اصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً، فإن مثلك في عملك بالسنّة لا يُظنُّ به أنه يُؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول اللَّه ﷺ، فقال: لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل، وإن قال به من قال، ولا أدين اللَّه بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر. ثم وفد إلى صنعاء مدة أخرى بعد سنة (١٢٠٩) ووصل إليّ، ورجع إلى وطنه، وبلغ بعد ذلك موته رحمه اللَّه[١]. وكان ذكياً فطناً ساكناً متواضعاً جيد الفهم قوي الإدراك.

٢٠٨
(السيد صَلاح بن أحمد بن مَهْدي المُؤيّدي)[٢]

كان من عجائب الدهر وغرائبه، فإنّ مجموع عمره تسع وعشرون سنة، وقد فاز من كل فنٍّ بنصيبٍ وافرٍ، وصار له في الأدب قصائد طنانة، يعجز أهل الأعمار الطويلة عن اللحاق به فيها. وصنّف في هذا العمر القصير التصانيف المفيدة، والفوائد الفريدة العديدة، فمن مصنفاته (شرح شواهد النحو). واختصر شرح العباسي لشواهد التلخيص، وشَرَحَ (الفصول) شرحاً حافلاً، وشرح (الهداية) ففرغ من الخطبة وقد اجتمع من الشرح مجلد. وله مع ذلك ديوان شعر كله غُرَرٌ ودُرَرٌ، وفيه مَعانٍ مبتكرة فمنه: [من الكامل]

وَصَغيرةٍ حَاولتُ فَضَّ خِتَامها ... مِنْ بَعْدِ فَرْطِ تَحنُّنٍ وَتَلطُّفِ
وَقَلبتُها نحوي فَقالتْ عِنْدَ ذا ... قَلبي يُحدّثني بِأنكَ مُتلفي[٣]

وهذا تضمين يطرب له الجماد وترقّ لحسنه الصمُّ الصلاد، ومع هذه الفضائل التي نالها في هذا الأمد القريب، فهو مجاهد للأتراك محاصرٌ لصنعاء مع الحَسَن والحُسَين ابني الإمام القَاسِم؛ كان مطرحه في الجراف يشنّ الغارات على الأروام في

(١) قيل: إنه توفي سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م (التقصار، الشجني).
(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٥/ ٢١؛ الأعلام: ٣/ ٢٠٧.
(٣) قيل: إن هذين البيتين للسيد صلاح بن أحمد، عزّ الدين المؤيدي، وليس لصاحب الترجمة.

جميع الأيام، وافتتح مدينة أبي عريش، وغزا إلى جهاتٍ متعددة وكان منصوراً في جميع حروبه، وكان مجلسه معموراً بالعلماء والأدباء وأهل الفضائل. قال القاضي أحمد بن صَالح في مطلع البدور: رأيته في بعض الأيام خارجاً إلى بعض المنتزهات بصعدة فسمعتُ الرَّهَجَ وحركة الخيل فوقفت لأنظر، فخرج في نحو خمسةٍ وثلاثين فارساً إلى منتزه وهم يتراجعون في الطريق بالأدبيات، ومنهم من ينشد صاحبه الشعر ويستنشده، وكان هذا دأبه. وإذا سافر أول ما تضرب خيمة الكتب، وإذا ضربت دخل إليها ونشر الكتب، والخدم يصلحون الخيم الأخرى. ولا يزال ليله جميعه ينظر في العلم ويُحرّر ويُقرّر مع سلامة ذوقه. وكان مع هذه الجلالة يلاطف أصحابه وكتابه بالأدبيات والأشعار السَّحَريَّات، من ذلك أبيات كاتب بها السيد العلَّامة الحَسَن بن أحمد الجلال منها: [من البسيط]

أفدي الحبيبَ الذي قَدْ زارني ومَضَى ... وَلاحَ مَبْسِمُه كالبرقِ إذ وَمَضَا[1]

نَضَا عليّ حُساماً مِنْ لَواحظِهِ ... فَظلتُ أَلثمُ ذاكَ اللّحْظَ حِينَ نَضَا[2]

فأجابه السيد الحَسَن بأبيات منها: [من الكامل]

قَدْ لاحَ سَعدُكَ فَاغتنمْ حُسْنَ الرِّضا ... مِنْ أهلِ ودِّكَ واسْتَعِضْ عمَّا مَضَى

لما بعثتَ لَهُمْ بِطيْفِكَ زائراً ... تحتَ الدُّجى ولِفَضْلِهِمْ مُتَعرِّضَا

بَعثوا إليك كتائباً مِنْ كُتبِهِمْ ... هَزَموا بها جَيْشَ اصْطِبارِكَ فانْقَضَى

وهي أبيات طويلة. وكذلك الأبيات الأولى. ومن شعر صاحب الترجمة الفائق قوله في التورية: [من السريع]

وَمايسٍ أَرْشَفَنِي رِيقَهُ ... لَلَّه مِنْ غُصْنٍ وَرِيقٍ وَرِيقْ[3]

نَقيّ خَدٍّ فَوْقَهُ حُمْرَةٌ ... فَصِرْتُ ما بَين النَّقا والعَقيقْ[4]

(وتوفي) رحمه اللَّه في سنة ١٠٤٨ ثمانٍ وأربعين وألف، وعلى هذا فيكون مولده سنة (١٠١٩). وكان موته بقلعة غمار من جبل رازح، وقُبِر بالقبة التي فيها السيد أحمد بن لُقمان، والسيد أحمد بن المهدي. ورثاه جماعة من شعراء عصره.

---

(١) وَمَضَ: لمع وبرق وأضاء.

(٢) نَضَا: سَلَّ، شَهَرَ.

(٣) مايس: مائس، من ماس فلان مَيْساً، ومَيَساناً: تبختر واختال. غُصْنٌ وريق: ذو وَرَقٍ. رِيقٌ: رُضاب.

(٤) النَّقَا: الكثيب من الرمل، أو العظم ذو المُخّ. العقيق: الوادي الذي شَقّه السيل قديماً فأنهره، ومنه: عقيق المدينة. والعقيق: حجر كريم أحمر تُعمل منه الفُصوص.